تقريران

[١]

الثورة والطفل الفلسطيني

استطاع الطفل الفلسطيني ان « يكبر » في ظل سنوات النزوح والحياة البائسة التي عاشها ، ومواجهة الجوع والمرض وقسوة الطبيعة . انه يعيش واقعه بشكل حاد . وهو مضطر الى ذلك : يعاني ، يتألم ، يقتل ، يسير في الجنازات ، يتدرب على السلاح .. الخ ، وقد أصبح محاطا بجملة رموز وأشياء تشكل مع الخيال الطفلي الجامح ، عالم طفلنا الفلسطيني . فوجود الطفل الفلسطيني في بيوت من التنك الصدىء ، وأزقة مترية ، وأكوام من القاذورات وبرك من الماء ، وملابس ممزقة ، جعلته « يكبر » ويقاتل على امتداد سنوات الاحتلال ، جعلته فتى الثورة وشبابها ورجلها في المستقبل .

وقد لاحظ الاسرائيليون بقلق ان الطفل الفلسطيني في الارض المحتلة يميل في لهوه الى أن يمثل العابا تحكي عن المعارك والبطولات . ولاحظ احد المراسلين العسكريين الاسرائيليين ان الصغار في غزة يشاكسون جنود الاحتلال بطريقة استفزازية وساخرة ،عندما يملأون أكفهم « بحبات الباذنجان » ويقذفونها على سياراتهم بنفس الطريقة التي يقذف بها الفدائيون بقنابلهم على جنود الاحتلال . او يحمل الاطفال في المخيمات قطعا خشبية بشكل بنادق بعضهم يختبىء في خندق ، والبعض الاخر بين البيوت التنكية في وضع استحكام ، البعض الاخر تسلق بعض الاشجار ، واخر برميل النفايات ، والجميع يموهون انفسهم ببعض فروع الاشجار ، وخارج المخيم ، هناك بعض الاطفال يمثلون دور افراد العدو ويحملون قطعا خشبية مختلفة ايضا ويتقدمون نحو المخيم . هكذا يلعب اطفالنا في المخيم ، وهكذا يكبرون ويقاتلون اعداءهم في معارك حزيران في غزة وخان يونس ورفح والقدس والخليل ونابلس وبيت لحم واللد ويافا والنقب .

ولكن الخطر الذي كان يهدد هذا الطفل ، هو محاولة اذابته وصهره في المجتمعات العربية ، وداخل الكيان الصهيوني ، وما كان هذا ليتم الا من خلال تشتيته ثقافيا وفكريا ووطنيا ...الى اخر ذلك من الوان الشتات .

ولقد روى لي أحد ابناء قرية بيت دراس ممن نزحوا في العام ١٩٤٨ الى مدينة رفح في قطاع غزة هذا المشهد قال : « اذكر في العام ١٩٥٢ ، ان مدرستنا كانت عبارة عن عدة خيم كبيرة ، وكنت أقطع مسافة طويلة مشيا على القدمين كي أصل اليها . ولم تكن في الخيمة بالطبع اية مقاعد ، كنا نجلس على الارض وكان المدرس يعلمنا كتابة الحروف على الرمل ، كانت الارض هي اللوح ، واصبع المدرس كان الطباشير . ولم يكن مدرسنا حينذاك يستخدم كتابا وانما كان يعتمد على ذاكرته وكثيرا ما كان يخرج من الدرس الاساسي ليحكي لنا موضوعا مختلفا غالبا ما يكون عن فلسطين .. وكان لكل مدرس طريقة مختلفة وكل خيمة تختلف الحصص الدراسية فيها عن الاخرى .. »

ولا اعتقد ان الوضع التعليمي في المخيمات الفلسطينية الاخرى بعد النزوح مباشرة يختلف كثيرا عن المشهد السابق فمنذ العام ١٩٤٨ والشعب الفلسطيني يواجه شتاتا ثقافيا وتربويا نتيجة للشتات البشري وتوزعه الجغرافي في ارجاء البلاد العربية .

واذا كان بناء طفل واع مستنير ، يثقف نفسه وامته مسألة ملحة بالنسبة للامة العربية ككل ، فهو مسألة لا غنى عنها بتاتا بالنسبة للشعب